# ثانياً : الموقف الأخلاقى من الثورة البيولوجية

## (الاستنساخ الحيوى)

د. مصطفى عبده محمد خير (*)

**مقدمة :**

يتمحور هذا البحث فى محاور ثلاثة متتالية لتوضيح أهمية ودور الأخلاق فى المأزق الحضارى التى دخلت فيه الحياة المعاصرة إزاء الثورة البيولوجية الرهيبة وأحدثت إشكاليات قانونية واجتماعية وعقائدية وأخلاقية.

فكان لابد من بناء فلسفى جديد لمواجهة هذه التحديات الجديدة لإقامة ضرب من التوازن بين القيم الأخلاقية والمستجدات العلمية وتحليل المشكلات الأخلاقية الناتجة عنها، والأزمة فى حقيقتها هى أزمة فكرية فعلى الفلسفة أن تأخذ مكانتها الفكرية فى مواجهة هذه التحديات الأخلاقية.

ولهذا كانت دعوتنا لأخلاق عملية وتطبيقية فى دراسة سلوك الإنسان من خلال السلوك الإنسانى وذلك بأن يكون ما هو كائن عليه من خلال فيما ينبغى أن يكون عليه للوصول إلى أخلاق جمالية مصاحبة معها الأخلاق البيولوجية من خلال الحياة الصاعدة.

والإنسان كائن جمالى له حياة ممتدة من الأزل إلى الأبد له إمكانية التغيير والتمييز فى المرحلة الرابعة من حياته وهى الحياة الدنيوية من الميلاد حتى الممات فلا يدمر نفسه ويدمر العالم الذى خُلق من أجله وسُخر له لإيجاد وبناء أروع الطرز وليس العكس.

---

( * ) أستاذ الجماليات وفلسفة القيم بجامعة النيلين – جمهورية السودان.



obeikandl.com

وعليه كان البحث من خلال هذه المحاور لنستخلص أن الفلسفة مازالت لها القدرة والقوة الفكرية فى خدمة الإنسانية لتكون للفلسفة الأخلاقية دورها فى بناء حضارة الإنسان والاحتفاظ بقدسية الإنسان، والأخذ بيد ذلك الإنسان المنزلق للإجابة الصيحة التى نطلقها "أدركوا ذلك الإنسان الذى نسى نفسه فى خضم الثورة التكنولوجية والبيولوجية والتى صنعها بنفسه".

ليستقيم الإنسان وباستقامته تستقيم حياته عندما يكون خاشعًا نقيًّا ومبدعًا تقيًّا وحرًّا وفيًّا.

## المحور الأول : أهمية الأخلاق للحياة الإنسانية

### المبحث الأول: الأخلاق والإنسان المنزلق

إن كان كثير من فلاسفة الأخلاق تصوروا الأخلاق بصورة علم معيارى يحدد السلوك الفاضل وما ينبغى أن يكون، فيجب إضافة فلسفة عملية تفتح أمام الإنسان ملكوت القيم، وأن الحياة الخلقية تفرض على الموجود البشرى المشاركة فى ملأ الحياة Fullness of life والتقبل لكل ماله دلالة والتفتح لكل ما ينطوى على قيمه.

فالإنسان الحديث قلق ومتهور بل أصبح كائنا غير مبالى، لا شىء يلهمه، ولا شىء يحرك كوامن وجوده الباطن، فلا يستشعر أية دهشة، أو تعجب، أو حماسة، أو أى إجلال، وأصبح ينزلق فوق سطوح الأشياء دون أن يفطن إلى خوائه الباطن.

أما الإنسان الأخلاقى والذى نريده أن يكون واعيا بنفسه وما حوله ويتمتع بقوة نفاذة لتذوق قيم الحياة بكل ما فيها من وفرة وامتلاء وخصوبة.

ومهمة الفيلسوف الأخلاقى هى الأخذ بيد ذلك الإنسان المنزلق لكى يسترد تلك الحاسة الخليقة ليرى القيم ويدرك المعانى ويحس بالجمال.



obeikandl.com

فرسالة الأخلاق الحقيقية هى تحويل العالم من المرتبة الطبيعية الصرفة إلى المرتبة الاكسيولوجية الحقيقية. ومعنى هذا أن الأخلاق تضطلع بمهمة المساهمة فى إيقاظ الإحساس بالقيم لدى الإنسان. تماما كمهمة الفنون فى استيقاظ النفوس لترى الجمال الذى هو فينا ومن حولنا ولكننا لا نراه بالألفة والعادة ولأنه يسير معنا فى التيار، فلا يحس البشر إلا بالمعاكس لهم فى الطريق والمعاكس هو القبيح فلا يرى إلا قبحا ولا يفعل إلا القبح حتى يصير قبيحا [1]. وهكذا فمهمة الفنون استيقاظ النفوس لترى الجمال وكذلك الأخلاق مهمتها إيقاظ الإحساس بالقيم الإنسانية العليا لتنداح نحو المثل العليا فى تحقيق إنسانيتها.

والإنسان هو الكائن الوحيد الأخلاقى فليس للحيوانات تصور للماضى ولا استشراف للمستقبل كما هى لدى الإنسان ذلك الموجود الأخلاقى الذى لا يمكن أن يحيا على مستوى الغريزة وحدها لأنه لابد من أن يجد نفسه مضطرًا إلى تجاوز مستوى الحياة الحيوانية الصرفة. ولو إننا نظرنا إلى الموجود البشرى هذا فى أدنى مستوياته لوجدنا أنه يتمتع بمقدرة خاصة لا نجد لها نظيرًا على الإطلاق فى كافة مستويات العالم الحيوانى وهى القدرة على مراقبة سلوكه والحكم عليه، وهناك ضبط وإشباع وهى عند الحيوان إشباع لشهوات إلا أن الإنسان يوجد اتزانًا بينهما وهى المسافة الواعية بين الإنسان والحيوان، فلا يأكل ولا يشرب مثله، بل يقضى على ضرورة الحيوان بطريقته الإنسانية، وبهذا أحال الإنسان الشهوات إلى رغبات، فقد استحالت شهوة الجوع إلى رغبة فى تناول الطعام. لأن الإنسان هو الكائن الذى يستطيع أن يستبدل بالنظام الحيوى للحاجات نظامًا خلقيًّا للقيم. وليس المثل الأعلى الأخلاقى هدفا معينا تبلغه الذات مرة واحدة، بل هو يشير إلى سبيل طويل عبر معاناة ترتاده الذات فى سعيها المتواصل نحو ضرب من الكمال الخلقى وذلك بمزج الواقع بالمثل الأعلى ويجمع بين مستوى الغريزة ومستوى الضمير [2].

وليس من الضرورى أن يعرف الإنسان ما هو هذا الذى ينبغى أن يكون عليه إنما حسبه أن يمضى إلى الأمام لكى يحقق من الأفعال ما يضمن له حالته الراهنة فالحياة الإنسانية الحقيقية تكمن فى الشعور بالتعارض القائم بين الكائن الواقعى بنقصه وضعفه والكائن المثالى بكماله وسموه.

فمهمة الأخلاق فى تحريك ما فى الإنسان من عنصر سامى أو جلالى ليسمو فوق مستوى الطبيعة من خلال وعى أخلاقى.

والإنسان موجود ذا طبيعة انطولوجية وطبيعة اكسيولوجية، وهو موجود قيمى وكائن قيمى وهو أيضًا كائن أخلاقى الذى لا يتحدد وجوده إلا من خلال علاقته بالقيم. وما كان للإنسان أن يكون موجودًا أخلاقيًّا إلا لأنه كائن عاقل يملك من الفكر والإرادة ما يستطيع معه تجاوز مستوى الغريزة والتسامى إلى مستوى السلوك الأخلاقى الحر، وما نسميه بالخير إنما هى عملية جهد حر يقوم فيها الإنسان بالبحث عن القيم بوصفها غايات، ولا يمكن أن يكون هناك قهر للخير لأن الخيرية لابد من أن تكون وليدة الحرية.

وللإنسان إمكانية للخير وإمكانية للشر وهو يملك الاختيار فى فعل الخير وفى فعل الشر، وربما كانت الحرية هى القوة العظمى للحياة البشرية وفى نفس الوقت الخطر الأعظم الذى تتهدده دائمًا، وعلى الإنسان أن يعيش دائمًا على هذا الخطر الذى لولاه لما كان الإنسان كائنًا أخلاقيًّا، فهو يواجه الخطر من الخارج ومن الداخل أيضًا.

ليصير الإنسان كائنًا أخلاقيًّا عليه ممارسة الخير وهو قادر على الشر، فلولا تلك القدرة على فعل الشر لما وجدت لديه أى قدرة على فعل الخير.

فالحياة الإنسانية الصحية لا تبدأ إلا حيث تنتهى الحياة الحيوانية الصرفة، فالحيوان يخضع لدوافع وانفعالات عمياء ولا يتصف بالحرية أو القدرة على الاختيار، أما الإنسان فهو يتحكم فى أهوائه وانفعالاته ويشعر بأن له قوة فاعلة وإرادة حرة خاصة، ولا سبيل لنقل الحكمة المكتسبة إلى الأجيال الناشئة، فأنه لكل جيل لابد أن يكون لنفسه حكمته الخاصة ولكل فرد موقفه الذاتى فى اكتشاف شروط توازنه.

فالإنسان الفاضل هو الذى يستطيع أن يرتكب الخطيئة ولا يرتكبها فإن وجدت حالة لا يستطيع أن يرتكب فيها خطيئة فلن تكون حالة أخلاقية لأنها لن تكون نابعة من موقف اختيارى حر. وبالتالى فالقيم التى يحققها لم تكن قائمة على أية ركيزة من الحرية فإن اختفت دعامة الحرية من الأخلاق فقد

اختفى الشرط الأساسى لقيام خير أو شر ولن تكون هناك قيمة للقيم الأخلاقية.

## صلة الأخلاق بالحياة العملية :

اختلف الباحثون فى نظرتهم إلى علم الأخلاق ومدى اتصالها بالحياة العملية. فقيل إن الأخلاق علم عملى يهدف إلى تحقيق غاية فى حياتنا فهو يعرض فى الطريق التى تؤدى إلى تحقيق الغايات القصوى.

فكما أن الطب لا يهدف إلى فهم المثل الأعلى للصحة بقدر ما يقصد إلى تحديد الطرق التى بها تتحقق الصحة فكذلك علم الأخلاق مهمته أن يرسم الطريق إلى غاية قصوى يقصد الإنسان إلى تحقيقها باعتبارها الخير الأقصى فمهمة علم الأخلاق فى دراسة الطرق التى تمكنا من تحقيق هذه الغاية كما يدرس علماء الصحة الطرق التى تقى الناس شر الأمراض.

إلى جانب هذا الاتجاه العملى وجد اتجاه ينكر الرأى القائل بالأخلاق العملية باعتبار الأخلاق علمًا نظريًّا وليس عمليًّا بمعنى أن المعرفة فيه تطلب لذاتها ومهمته فهم طبيعة المثل العليا فى السلوك الإنسانى.

واستند أصحاب هذا الرأى إلى أن علم الأخلاق معيارى، ومن شأن العلوم المعيارية أن تعتبر دراسة عقلية لقيم ومستويات ومثل عليا لا تهدف إلى وضع قواعد لتحقيق هذه المثل.

فعلم الجمال يهتم بالبحث العقلى فى مستويات الجمال وليس من عمله أن يبحث فى كيف يتحقق الجمال ومثل هذا يقال فى علم الأخلاق. وشتان بين عالم الأخلاق والواعظ الدينى، وبين عالم الاجتماع والمصلح الاجتماعى، وبين عالم الجمال والمشتغل بأعمال جميلة الفنان.

ويمكن لنا الجمع بين هذين الاتجاهين المتطرفين لكى يصبح علم الأخلاق علما نظريًا وعمليًا معا، فهى دراسة عقلية تهدف إلى فهم طبيعة المثل العليا التى تستغل فى حياتنا، فهى علم وفن، فمبادئ الأخلاق لا تحقق غاياتها العملية ما لم تسبقها دراسة نظرية حتى يتسنى للإنسان أن يعرف الغاية القصوى من وجوده لتحقيق إنسانيته.

إن علم الأخلاق لا يحدد للإنسان طريقة تصرفه فى كل موقف يعرض له ولكنه يهدى دارسيه إلى الاتجاه السوى، وهو يزودهم بمهارة فنية مستنيرة تيسر لهم أن يدركوا اتجاه التصرف السليم ولا يتجاوز هذا إلى بيان الجزئيات والتفاصيل، معنى ذلك أن تطبيقات المبادئ الكلية فى الأخلاق تختلف باختلاف الزمان والمكان.

وحسب علم الأخلاق أن يحدد لنا الاتجاه العام وأن يدع للإنسان حرية التصرف. وفقا لكل الظروف، فالشجرة تنبت وتتجه نحو الضوء وكذلك الحال فى الأخلاق تضىء الطريق السوى للإنسان، وطبيعة الإنسان تحمل خطأ مشتركا فى زمان ومكان وهذا وحده هو الذى يبرز إمكان وضع قوانين عامة مطلقة وتحديد قيم ومعايير تتجاوز حدود الزمان والمكان.

وميزة المثل العليا أنها تشهد بطموح الإنسان ونزوعه إلى التسامى وتطلعه إلى مزاولة حياة إنسانية كريمة ورغب فى الارتفاع فوق مستوى البهيمة المجردة لتحقيق إنسانية الإنسان.

## المبحث الثانى: الأخلاق بين الإبداع والاتباع

حينما يتحدث الفلاسفة عن ترقى الحياة الخلقية فإنهم يشيرون إلى مستويات ثلاثة :

1- مستوى الغريزة Level of instinet.

2- مستوى العرف Level of Custom.

3- مستوى الضمير Level of Conscience.

ونحن نرى أن ترقى الحياة الخلقية تنتقل من مستوى الطبيعة إلى مستوى العقل ثم إلى مجال الإبداع، والأخلاق مهمة لا تقف عند حد نشر المعايير الجماعية والقيم التقليدية، بل هى تمتد إلى خلق روح النقد والإبداع والابتكار فى نفوس كل من الأفراد والجماعات، ولكن هناك صعوبة فى التوفيق بين الحاجة إلى الاتباع والمسايرة، والحاجة إلى الإبداع والمبادأة،

ولكن الفهم الصحيح هو المزج بين هاتين الحاجتين لاستشراف المستقبل من خلال أصالة الماضى، بمعنى الأخذ بالاتباع من خلال الإبداع، والواقع أن هناك حزبين من الأخلاق يقابلان هذين الاتجاهين : أخلاق مغلقة تتجه بطبيعتها نحو الوراء تمثل حياة الاتباع والمسايرة، وأخلاق مفتوحة تتجه بطبيعتها نحو الأمام وتمثل حياة الإبداع والمبادأة [2].

والأخلاق المغلقة نجدها عند الجماعات المغلقة التى تشبه حياة النمل والنحل، أما الأخلاق المفتوحة فتتجاوز حدود الجماعة وتتسم بالخلق والإبداع.

والأخلاق المغلقة تتضمن تحقيق الإلزام عن طريق تنظيم اجتماعى يخضع فيه كل فرد لمقتضيات الحياة الجمعية فيتألف من ذلك عقل جمعى، وليست الأخلاق بهذا المعنى سوى جهاز من العادات تنحصر مهمتها فى صيانة كيان المجتمع، فالقاعدة الكبرى فى كل أخلاق مغلقة هى العمل على صيانة التقاليد النافعة للمجتمع وتوفير العادات الطيبة لسائر أفراد الجماعة.

ومن هنا فإن المثل الأعلى للمجتمع المغلق على ذاته هو تهذيب أفراده تهذيبًا اجتماعيًّا صالحًا يضمن للجماعة أسباب التعاون والتآزر، ولهذا فإن الحرب ضرورة اجتماعية تقتضيها حاجة الأفراد إلى الدفاع عن ممتلكاتهم الجمعية ومصالحهم المشتركة.

أما الأخلاق المفتوحة فهى ليست وليدة ضغط اجتماعى بل هى صادرة من نزوع سام تتمثل فيه جاذبية القيم، وفيه تعبير عن استجابة الفرد لنداء الحياة الصاعدة.

فنحن هنا بإزاء أخلاق إنسانية تدعوه إلى تجاوز حدود الجماعة. "وليس الفارق فى الأخلاق الإنسانية المفتوحة والأخلاق الاجتماعية المنغلقة مجرد فارق فى الدرجة، بل هو فارق فى الطبيعة، فالأخلاق الاجتماعية تنحصر مثلها الأعلى فى تحقيق العدالة والتضامن الاجتماعى. نجد أن الأخلاق الإنسانية تنزع نحو العمل لصالح الإنسانية" [3].

فالأخلاق المغلقة لا تنتشر إلا عن طريق الدفع من الخلف، بينما الأخلاق المفتوحة لا تنتشر إلا عن طريق الجاذبية للإمام. فلا تنتشر إلا من

خلال جاذبية لأفراد نماذج فردية يعجبون به وينجذبون نحوه. فالأخلاق الإنسانية لا تقوم إلا على الاستجابة لهذا النداء وهذا النداء لا يخاطب العقل فقط بل يخاطب الإحساس أيضًا، ولا يكتفى هذا النداء بالحجة والاستدلال بل بالقدوة والمثال وانفعال نفسى عميق ينحو نحو الخلق والإبداع، من خلال انفعالات حية متصلة بالصورة الحيوية، كما أن الأخلاق المفتوحة تخاطب الإنسانية جمعاء من خلال الأفراد فلا تعمل من أجل مجموعة خاصة فقط ويقول الفيلسوف الفرنسى برجسون :

"إن الأخلاق الإنسانية هى أخلاق متفتحة تتداعى أمام ناظريها شتى العوائق المادية، وتشعر النفس بالغبطة الروحية وقد أخذت بمجامع القلوب وخير مثال لتلك الأخلاق – فيما يقول برجسون – أخلاق المسيح ذاتها فهو أحسن تعبير للنفس المتفتحة".

إذن فيما يقرر برجسون أن الأخلاق الإنسانية هو اتباع مثال ونموذج خلقى ينتشر لباقى الأفراد. وعليه يمكن لنا أيضًا أن نقرر بأن الأخلاق الإنسانية جمعت فى أخلاق الرسول ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وهو نموذج للناس كافة لأن رسالته للناس كافة وكان خلقه القرآن معنى ذلك إن أخلاقه نموذج يتبع، دائم ما دام القرآن، وهو المنهج السائد والسائر إلى يوم القيامة.

والأخلاق المفتوحة لا تقوم على قوانين صارمة وملزمة بل على الاستمالة والقدوة الحسنة. فى حين أن الأخلاق المغلقة تستند إلى قوانين صارمة وضرورات اجتماعية.

فالأخلاق الإنسانية المنفتحة هى عبارة عن مجموعة نداءات توجه إلى الضمير الإنسانى من خلال انفعال يستحيل إلى أفكار هو فى صميمه أسمى من الفكرة، وهكذا نجد أن الأخلاق المنفتحة انتقال من التضامن الاجتماعى إلى الإخاء الإنسانى أى من تعامل إلى تضامن إلى إخاء.

ولهذا وحد كثير من الفلاسفة بين الخيرية Goodness والإبداعية Creativeness، بدعوى أن السلوك يكون بالضرورة أفضل حين يجىء أشد

أصالة من خلال المحبة لا مجرد إحساس بالواجب فقط. والمحبة هو السلوك المحرك للأخلاق الإبداعية فى تجاوزها دور الجماعة لتمتد للإنسانية.

وهناك ثلاثة مستويات للأخلاق :ـ

1ـ أخلاق القانون: التى تجعل سلوك الخير مجرد طاعة لقواعد قانونية.

2ـ أخلاق الحرية : الذى ينظر للإنسان كائنًا عينيًّا مختارًا.

3ـ أخلاق الإبداع : لخلق شيئًا جديدًا وفريدًا إبداعيًّا.

والأخلاق الإبداعية وليدة الحرية، إذ يعمل كل فرد بوصفه ذلك الشخص المعين، ويكون فعله وليد ابتكار نابع من ضميره ملتزما بالحرية الإنسانية [4].

"والأخلاق الإبداعية نابعة من العقل الإنسانى ولكن من أى عقل تكون هذه الأخلاق الإبداعية ؟ فهناك قانون خارجى يسير عليه العقل البشرى الواعى أى من خلال العقل الظاهرى الواعى، وهناك فطرة داخلية تسير بقانون داخلى من خلال العقل الباطن المستور، ثم تأتى الأخلاق الإبداعية من خلال العقل الإبداعى، وهو العقل الذى اختص اللّه به الإنسان دون سائر الكائنات وما فطر فيه من طاقة إبداعية يعمل على تفجيرها [5].

ولهذا نستطيع أن نقرر أن الخيرية بمعنى من المعانى هى مظهر من مظاهر عملية إبداع القيم وفيه انسجام للتنغيم الداخلى مع الإيقاع الجمالى.

فالحياة الخلقية ليست مجرد خضوع سلبى لبعض المتطلبات وتنفيذ لقواعد، بل هو تنسيق وتنظيم داخلى لابتكار أساليب سلوكية واتساق مع مضامين العقل الإبداعى.

ولعل ما يساعد الفاعل الأخلاقى على ابتكار الحل المناسب فى المواقف الأخلاقية استعمال الحدس الخلقى استنادًا إلى الوجدان المبدع فيهيمن على القيم الخلقية المناسبة لحالات الضمير الإنسانى لكل المواقف الإبداعية ليكشف القيم الأخلاقية الإبداعية.

والأخلاق هى ميزة إنسانية تميز بها الإنسان دون غيره من الكائنات وهى المسافة القيمية بينه وبين سائر الكائنات.



obeikandi.com

ولهذا نعت الرب العظيم في قرآنه العظيم النبى العظيم بأنه على خلق عظيم فى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ولعلى تفيد الاستعلاء والاستمرارية أى وإنك يا محمد كنت وستكوّن وأنتَ الآن على خلق عظيم، وقال رسول الله ﷺ جئت لأتمم مكارم الأخلاق وعندما سئلت عائشة رضي الله عنها كيف كانت أخلاق رسول الله ﷺ قالت : "ألا تقرأون القرآن، كان خلقه القرآن".

وهو القرآن المطبق والقرآن الحى فى تطبيقه تطبيقًا بشريًّا، ومادام القرآن عطاءاته متجددة مع الزمان المتغير والمكان المتجدد فأخلاق رسول الله ﷺ تتجدد أيضًا أى سلوكه فى حركاته وسكناته.

وهكذا بنى الرسول ﷺ الإنسان بالأخلاق ثلاثة عشر عامًا فى مكة ليبنى بهم الدولة والأمة والحضارة الإنسانية من خلال الأخلاق السوية والأخلاق القرآنية.

فالأخلاق إذن من أهم مقومات الإنسان فى تحقيق إنسانيته فى تعمير الأرض بالإبداع بالعمل الصالح والأخلاق المتجملة الإبداعية وإبداع القيم الأخلاقية المبدعة. وهى المسافة الواعية والحضارية بين الإنسان وباقى الكائنات.

## المحور الثانى : الإنسان ذلك الكائن الجمالى المكرم

### المبحث الأول : 1/ لم يكن الإنسان قردًا ولا شبيهًا بالقرد

### الكائنات الشبيهة بالإنسان كائنات غير بشرية منقرضة

عندما نبحث عن الإنسان وظهوره على الأرض نصطدم بمغالطة منشئية عن الإنسان بوجود كائنات قردية، إذ أراد علماء النشوء والارتقاء بجعله السلالة الأولى للإنسان !

ولا نرفض وجود هذه الكائنات الشبيهة بالإنسان، إلا أننا نرفض صلتها بالإنسان فى الخطأ الشائع أن ذلك الكائن هو الجد الأول للإنسان عندما تطور من الخلية الأولى عبر ملايين السنين حتى صار إنسانًا سويًّا !؟

وهذه النظريات هى نظريات فرضية متلاحقة ومتناسخة وليست علمية، بل هى فرضيات ظنية لإثبات ظنون وهمية عاشها ويعيشها علماء النشوء والارتقاء فى محبسهم العقلى.

## 2/ الإنسان وصلته بالكون :

أبدع بديع السموات والأرض الكون من خلال (كُنْ) فكانت، وكونها تكون هى استجابة، وهذه الاستجابة هى استجابة طاعة ووجود، وهذه الطاعة هى أول تسبيحة. ومازال الكون يسبح للّٰه منذ أن كان حتى ما شاء اللّٰه [6].

أما الإنسان فقد خلقه اللّٰه بيديه وبث فيه من روحه، وأسجد له الملائكة وعلمه الأسماء كلها، وأودعه عقلاً إبداعيًّا وحمله الأمانة وجعله مستخلفًا فى الأرض وفضله وكرمه ورزقه من الطيبات، وسخر له ما فى الأرض ومَلَكه أدوات التسخير، وأعطاه صفات من صفات الربوبية ليعمر الأرض، حيث وجدت الأرض قبل 500 مليون سنة، كانت الأرض غازية بخارية وتجمدت واستعمرت ثم استقرت، وكانت الحياة النباتية الخضراء وكانت الحيوانات آكلة العشب ثم آكلة اللحوم فالحشرات، ثم الديناصورات والحيوانات الثديية، ثم كانت الكائنات الشبيهة بالإنسان حتى ظهر الإنسان فى الثلث الأخير من المليون الأخير من عمر الأرض.

الكون كله يسير على ساعة منضبطة وعلى نبضات محسوبة ومعدودة ومحدودة داخل الدائرة الكربونية على الومضات الكونية من خلال سرعاتها الضوئية فكل ذرة منها إيقاعها الخاص بها، مستمدة إيقاعها من الإيقاعات الكونية من خلال الأنشودة العلوية الخالدة.

حتى أن عود الثقاب الذى يشتعل له حساباته الكربونية والكونية، فكل نبات ينبت له حساباته العددية فى اتساق مع كل نفس تتنفس فى تبادل حسابى بين نتح وتنفس.

كل هذه العملية الحسابية لها موازينها الذرية حتى الذرة لها جزئياتها الصغرى وهى عبارة عن أكوان مصغرة للمجرة فى اتساق متناغم مع الكون الفسيح المتسع الذى يتسارع بنظام منضبط رهيب، فما بال الإنسان وهو ما بين الذرة والمجرة.

والإنسان ذلك الكائن الجمالى الذى وجدت الأرض من أجله ليعمرها، فلم يتطور بيولوجيًّا بل خُلق خلقًا جماليًّا وهو يسمو ويترقَّى ويسير عبر معابر ثلاثة فى (الاعتقاد والاختيار والإبداع):



Obeikandl.com

1- باعتقاد خاشع يصل حد التقوى الجلالية (رهبة جلالية) من خلال عقل يستقرئ (الحق)، أى بحق يُعقل، ذلك لأن الإنسان كائن معتقد خاشع ذو عقل منطقى فى تفكيره.

2- واختيار حر ملتزم بحدود الحرية (حدود إنسانية) يصل حد الاستقامة الخلقية من خلال إرادة تستقطب الخير، أى بخير يُراد، ذلك لأن الإنسان كائن أخلاقى ذو إرادة حُرة بحدود إنسانية ومرتبة بشرية.

3- وإبداع رائع يصل حد الروعة الجمالية (رهبة جمالية) من خلال حس يستقطر الجمال، أى بجمال يحس به، ذلك لأن الإنسان كائن جمالى مبدع رائع فى إبداعاته الرائعة.

وبهذه المعابر افتراق الإنسان عن باقى الكائنات والإنسان كائن قائم بذاته، لم يتطور عن شىء ولم يتحول عن كائن آخر. إنما خلق فى أحسن صورة (معتقداً ومختاراً ومبدعاً).

## 3/ الكائنات الشبيهة بالإنسان :

1- وجد هذا الكائن ما بين (500.000 – 250.000) ق. م فى جنوب أفريقيا والأخدود الشرقى لأفريقيا (البحر الأحمر)، ويسمى (استرالوبثكيس – Australopithecus) وهو كائن لقيط لغذائه جوال، آوى إلى كهوف، وقد استعان بأدوات (العصر الباليوليثى - Paleolithic) – أى عند منابع النيل.

2- ووجد كائن آخر ما بين (250.000 – 100.000) ق. م فى جاوة وسومطرة وبكين (وسنجة بالسودان) ويسمى (هوموإركتس Homo Erectus) وقد سكن الكهوف واستخدم الآلات الحجرية (العصر الميزوليثى – Mesolithic) فى أواسط حوض النيل.

3- وجد هذا الكائن ما بين (100.000- 30.000) ق. م فى حوض البحر الأبيض المتوسط جنوب أوربا وشمال أفريقيا خاصة الشواطئ الفرنسية ويسمى الكائن (نايندرثال – Neanderthal) وكائن آخر يسمى (كروماقنون – Cromaqnon) وقد بنى بيوتا واصطاد وألف الحيوان وصنع أدوات (العصر النيوليثى – Neolithic) عند مصب النيل [7].



obeikandl.com

بمعنى أن ذلك الكائن الشبيه بالإنسان وجد على النيل قبل هبوط آدم على الأرض – لتذليل الأرض للإنسان بالشروط الأولية للإنسان ومن ثم انقرضت مثل الديناصورات المنقرضة.

وهنا تتوقف السلسلة التطورية للإنسان فكانت هناك حلقة مفقودة بين القرد والإنسان مما حدا بعلماء النشوء والارتقاء والتطوريين القيام بتزوير إنسان يصلح ليسد الفجوة التطورية وأطلقوا عليه (إنسان بلتداون – Piltadown man) وأطلقوا عليه اسم (Eoanth rapuss) وقد كشف عن هذا التزوير العلمى بعد أربعين عاماً وقد قام بهذا التزوير عالم آثار وهاوى حفريات وهما (شارلس داوصن – Charls Dowson) و(اسمث ود وورد – Smith Wood Word) [8].

وكانت هذه محاولة يائسة وبائسة من العلماء لتأكيد تطور الإنسان عبر هذه المراحل التطورية من خلال افتراضات ظنية ونظريات تبريرية وأفكار وهمية وهى نظريات تخمينية وتخيلية لتبرير نظريتهم على الإنسان وفى محاولتهم الفاشلة أن الإنسان الأفريقى من سلالات قردية !

وعليه فليست هناك أى علاقة عضوية أو بيولوجية بين هذا الكائن الشبيه بالإنسان، والحقيقة التى يقبلها العقل العلمى والمنطقى أن هذه الكائنات الشبيهة بالإنسان كائنات وجدت ثم انقرضت مثلما وجدت الديناصورات ومن ثم انقرضت بعد أداء مهمتها على الأرض وفى الأرض وهى كائنات سابقة على وجود الإنسان وليست لها صلة بالإنسان.

حتى ظهر الإنسان وخلقه الله جميلاً ووجد فى الثلث الأخير من المليون الأخير من عمر الأرض ليكون خليفة الله فى الأرض ليعمر الأرض بإبداعاته، وكان أول إنسان هو آدم أب البشرية. خلق آدم خارج الأرض من طين الأرض، يقول تعالى : ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ لم يقل: "فيها خلقناكم"، فكان لابد من وجود هذه الكائنات القبلية بالشروط الأولية لوجود الإنسان حتى لا يكون ظهورًا فجائيًّا لآدم.

## المبحث الثانى : الأدلة القرآنية فى خلق الإنسان الجمالى المكرم

الأدلة القرآنية لخلق الإنسان كثيرة، ومن هذه الأدلة نجد دليلاً قرآنيًّا

لوجود كائنات قبل الإنسان، وهى ليست إنسانية ولا حيوانية ولا من الجن أو الملائكة.

يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (البقرة 30).

هذا دليل على وجود كائنات قبل خلق آدم ووجوده فى الأرض ذلك لقول الملائكة فى (الإفساد) ولا يقال إلا لعاقل. فلا يقال للحيوان: إنه أفسد بل يقال: إنه قاتل أو مفترس، إذن هذه الكائنات ليست حيوانية. وقول الملائكة أنها (سافكة للدماء) يؤكد لنا أنها ليست من الجن أو الملائكة لأنه ليست للجن أو الملائكة دماء لتسفك، وليست بشرية لأن أب البشرية (آدم) مازال بين الطين والروح، وهذه كائنات قائمة بذاتها ليست لها صلة بالإنسان ولا الحيوان ولا الجن ولا الملائكة.

1- يقول تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الإسراء 70).

وهكذا كرم الله الإنسان وحمله فى البر والبحر ورزقه من الطيبات، فلم يخلق آكلاً للقاذورات مثل الحيوانات آكلة الجيف ولا آكلة العشب، ولا يتغذى من نفسه كالنباتات، بل خلق آكلاً للطيبات لأنه طيب وليكون طيبًا زكيًّا وفضله على كثير من خلقه.

2- أبدع الله الكائنات من لا شىء وخلق الإنسان من شىء وسواه وعدله فى قوله تعالى: ﴿ ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾ (ص 71) وفى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ (الانفطار 6 - 8).

وقد خلق الإنسان جميلاً، فالمرحلة الأولى من التجميل هى التسوية والتعديل فسواه وعدله أى جعله سويًّا مستقيمًا جميلاً، ظاهرًا وباطنًا.

3- وينتقل القرآن إلى مرحلة أرقى من خلق الإنسان أى التحسين فى قوله

تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ ﴾ (التغابن 3).

وفى قوله تعالى : ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ﴾ (التين 4).

ونلاحظ أن الفعل صور لم يستعمل فى القرآن إلا فى خلق الإنسان وفى الحديث عن الإنسان وبأسلوب الخطاب له وتخصيص الإنسان بهذا الأسلوب من الخلق وهو التصوير. هذا وقد ورد (التصوير) فى خلق الإنسان خمس مرات ولم يرد فى خلق شىء آخر لقوله تعالى :ـ

(1) ﴿ ... صَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ ٦٤ ﴾ (غافر 64).

(2) ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ ٣ ﴾ (التغابن 3).

(3) ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ١١ ﴾ (الأعراف 11).

(4) ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ ٦ ﴾ (آل عمران 6).

(5) ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾ (الانفطار 8).

4ـ خلق الإنسان بين قراءتين فى قوله تعالى : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ﴾ (العلق 1ـ 3).

وخلقه بين علمين، علم القرآن وعلم البيان، فى قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ﴾ (الرحمن 1ـ 4).

وهكذا كان تكريم الإنسان والعلم فى خلق الإنسان ما بين علم القرآن وعلم البيان، والقراءة باسم الرب الخالق الأكرم.

5ـ نفخ اللّٰه سبحانه وتعالى من روحه فى الإنسان وأودعه النفخة الإلهية ليكون مؤهلاً للاتصال بالملأ الأعلى ويكون جديرًا بالجزاء الأولى فى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢ ﴾ (ص 72، الحجر 29).



obeikandl.com

ولقد سجدت الملائكة لآدم تكريمًا لتلك النفخة الإلهية والتى اختص الله بها الإنسان دون سائر الكائنات فلكل الكائنات أرواح إلا الروح الإنسانية فيها روح الله وفيها النفخة الإلهية والنفحة الرحمانية.

6- وقد جعل الله الإنسان خليفة فى أرضه بكل مقومات الاستخلاف وشرائطه فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾ ﴾ (البقرة 30). وفعل جاعل هو فعل مستمر ليس جعل أو سيجعل بل هو جاعل فى الأرض خليفة ما دامت الأرض فالإنسان هو الخليفة.

ولهذا علم آدم الأسماء كلها. وإمكانية التعلم مفطورة فى الإنسان فى قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (البقرة 31).

وهكذا جعل الله للإنسان كل مقومات التسخير والتمكين والاستخلاف فى قوله فى الحديث القدسى : "خلقتك من أجلى وخلقت الأشياء من أجلك فلم تشتغلين بما هو لك لما أنت له"، وذلك ليباشر مهامه التعبدية والإبداعية لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

7- وحمله الأمانة والتى أبت السموات والأرض والجبال على حملها وأشفقت منها، وهذه دلالة أن هذه الكائنات والتى نطلق عليها (الجمادات) اصطلاحًا، أنها تفهم وتعقل بدليل مخاطبة الله لها وفى إشفاقها من حمل هذه الأمانة يقول تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (الأحزاب 72).

نستخلص أن الإنسان كائن جمالى أخلاقى معتقد، معقد متشابك الاتجاهات يستحيل أن يوجه وفق برامج يضعها الإنسان بتحويله إلى كائن بيولوجى وأرقام حسابية تحت سيطرة الإنسان الذى لا يعلم ما فى نفسه ناهيك أن يسير غيره على مقتضى حكمته القاصرة.

## المبحث الثالث : السرطان والإيذر من خلال الاستقامة الخلقية والمنظور الجمالى للنظام والاتساق

**السرطان والإيدز من الأمراض الخفية ليست لها آلام فى بدايتها :**

(السرطان) تمرد وخروج للخلايا عن البناء البنيوى للشكل الهيكلى للجسم. أما (الإيدز) فهو همود للخلايا وخلل فى النظام الحيوى للنظم الداخلية للجسم. (والجحود) هو تمرد للعقل وهمود للنفس بالانحراف عن المنهج الإلهى والنفحة الإلهية فى الروح الإنسانية.

فكما أن الكون محكوم بنظام وناموس كونى متسق وللقرآن إيقاعاته المتوافقة المتناغمة، فالإنسان محكوم أيضًا بالأنظمة الثلاثية : (البنيوية – والحيوية – والروحية) وعلاقة رباعية بين (جسم – ونفس – وعقل – وروح) من خلال الإيقاعات السباعية لعالم المادة (الكون) وعالم الفكر (الإنسان) وعالم الروح (القرآن) وتزاوج بين إيقاعات زوجية متخالفة ولكنها متآلفة بين المادة والروح.

فالسرطان تمرد للخلايا وخروج عن النظام البنيوى للجسم حيث تنمو الخلايا نموًا غير منتظمًا بدون أى ضابط أو تناسق بإحداث خلل فى التوازن البنائى للجسم وخلل فى الأنظمة البنائية وخلل فى التناسق المتناغم وخلل فى الجماليات الهيكلية للشكل الخارجى والداخلى. يتم ذلك بتمرد الخلايا عن التناسق وعلى النظام المبرمج فى الشريط الحمضى النووى الذى يرمز إليه بـ D. N. A وكذلك (الإيدز) فهو خلل فى النظام بخمود الخلايا وخلل فى البناء الحيوى للجسم وفى الجماليات الحيوية وخروج عن الأوتار الداخلية للإنسان وعدم التناسق مع الإيقاعات الكامنة للشريط الحمضى النووى (D. N. A).

ففى جسم الإنسان خلايا رباعية القدرات :

1ـ المدافعة أى القوة الضاربة والمقاتلة والمستشهدة.

2ـ المنبهة أى الأمن والإنذار والإشارة.



obeikandl.com

3- التموين أى القوة الاحتياطية للدفاع والاستشفاء.

4- الخلايا المركزية فى المخ القائدة والموجهة.

تناسق هذه الخلايا الرباعية فى الدفاع عن الجسم ضد أى دخيل من الفيروسات والجراثيم حاملة المرض وتعمل هذه الخلايا بنظام عجيب (إرادية ولا إرادية) فى نفس الوقت، فهى (لاإرادية) بالنسبة لإرادة الإنسان الإرادية الفاعلة وهى (إرادية) بالنسبة للأجهزة الداخلية المنفعلة والنظم الدفاعية فى البناء والدفاع والهدم.

فعندما تهاجم الفيروسات الجسم تقوم الخلايا الإنذارية بالإنذار وكشف الأجسام الغريبة الدخيلة وتعرفها (بالبصمة النووية) فترسل إشارتها إلى الخلايا الموجهة فى المخ لتحرك الخلايا الدفاعية ضد الفيروسات المهاجمة للقضاء عليها.

وهنا يكمن الخطر، ففيروسات (الإيدز) لها القدرة الفائقة على التخفى والتقمص فتغلف نفسها وتستتر بنفس البصمة النووية للجسم وتقوم بعملية تمويه للخلايا المنذرة وتحتل موقعاً وتحدث خللاً فى النظام الدفاعى والاستشفائى وذلك بإرسال رسائل مغشوشة ومموهة إلى الخلايا الموجهة فى المخ فترسل الخلايا الموجهة إشارتها على حسب الإشارات الواردة إليها بدون أن تعلم أنها كاذبة فتعمل الخلايا المدافعة على حسب تعليمات وتوجيهات فى المخ وتكون النتيجة عكسية وهى ما تريدها الفيروسات الداخلية المضللة المبرمجة.

وهذه الفيروسات عقلانية ربما تكون شيطانية أو تكون قد اكتسبت قواها من خلال تفاعلات كيميائية معملية وترسبت وهربت من معملها بالخطأ أو الإهمال أو تخفت وتسربت أو ربما بفعل فاعل أراد تدمير البشرية، أو تكون قد تولدت من داخل الجسم الإنسانى، أو قد تكون هذه الفيروسات تعمل من تلقاء نفسها بقدراتها الذاتية. ومازال البحث جاريًا لمعرفة أصل هذه الفيروسات الخطيرة.

فأى مرض هو قاتل لمريض الإيدز للخلل الذى وجد فى جهاز المناعى



obeikandl.com

والاستشفائى (الدائرة العصبية) فقد خلق الله الإنسان فى أتم صورة خلقه فسواه فعدله، وفى أحسن صورة (بتسوية وتعديل وتحسين جمالى) للشكل الهيكلى والنظم الداخلية، والجمال مقصود فى أصل الخلق الكونى والخلق الإنسانى، والكون كله مخلوق على نظام جمالى (الاتساق الجسدى، والاطمئنان النفسى، والتألق العقلى، والأشواق الروحية).

فالسرطان (تمرد) للخلايا، والإيدز (خمود) للخلايا وكلاهما خروج عن الاتساق والاستقامة، وخلل فى الأنظمة (البنائية والحيوية والروحية) الكامنة والمبرمجة فى الشريط الحمضى النووى (دى ـ إن - إيه D. N. A) أو ما يطلقون عليه الشفرة السرية للخلق وما نطلق عليه نحن بكتاب الله المحفوظ فى الإنسان المتسق مع كتاب الله المنظور فى الكون، وكتاب الله المقروء فى القرآن الكريم [9].

من خلال القراءات الثلاثة قراءة الكون والوحى والنفس

من خلال اتساق الإيقاعات الثلاثة (الزمان والمكان والإنسان)

من خلال النسق القرآنى فى اتساقه مع الإيقاعات والقراءات :

1ـ الوحى هو القرآن المقروء وهو المسلك المعتقد.

2ـ والكون هو القرآن المنظور وهو الوجود المدرك.

3ـ والرسول ﷺ هو القرآن المطبق من خلال السلوك النبوى الأخلاق القرآنية.

فإن استقام الإنسان استقامت أجهزته الداخلية واستقامت حياته باستقامته واتساقه مع الإيقاعات الجمالية فى الكون والحياة والإنسان. من خلال الإيقاعات الكونية والإبداعات الجمالية والعطاءات القرآنية وباتساق الأوتار الداخلية للإنسان مع الأنشودة العلوية الخالدة فى تناغم القراءات الثلاثة: الزمان المتتالى، والمكان المتوالى، والإنسان المتعالى من خلال المعايير الإنسانية باعتقاد خاشع واختيار ملتزم وإبداع رائع.

فعلى الإنسان أن يستقم لتستقيم حياته فيكون خاشعًا نقيًّا ومبدعًا تقيًّا وحرًّا وفيًّا ليباشر مهامه التعبدية ولتحقيق إنسانيته.

من خلال الاتساق والتناغم للركائز الثلاثة :

1- اعتقاد خاشع يصل حد التقوى الجلالية من خلال عقل يستقرئ الحق.

2- واختيار حر ملتزم بحدود الحرية يصل حد الاستقامة الخلقية من خلال إرادة تستقطب الخير.

3- وإبداع رائع يصل حد الروعة الجمالية من خلال حس يستقطر الجمال.

## المحور الثالث : موقف الأخلاق العملية (التطبيقية) من الثورة البيولوجية والاستنساخ الحيوى

### المبحث الأول : الثورة البيولوجية

الثورة التكنولوجية والبيولوجية والتقدم التقنى أدخل الإنسان المعاصر فى مشكلة بل فى مشكلات جديدة ومستحدثة لم تظهر إلا فى نهايات القرن العشرين.

فى يونيو 1978 ولدت فى إنجلترا أول طفلة أنابيب فى العالم، وإزاء هذا الحدث العلمى الخطير ظهرت مشكلات أخلاقية واجتماعية ودينية وقانونية، ترتيب عن هذا الكشف العلمى.

ضرورة لبناء فلسفى وقانونى يواكب التعقيدات التى يمكن أن تؤدى إليها التطورات العلمية الجديدة.

وعليه علينا مواكبة هذه المستحدثات من خلال الفلسفة الأخلاقية بقيام ورش علمية وسمنارات مع كلية القانون وكلية العلوم وكلية الطب للتباحث فى هذه الأمور وعلاقتها بالموقف الشرعى والدينى ورأى الفلسفة من خلال فلسفة الأخلاق والموقف القانونى إزاء هذه المشكلات وإزاء هذا الحدث العلمى قامت لجان للبحث فى هذه المشكلة فكانت لجنة ورنك أسندت



obeikandl.com

رئاسة هذه اللجنة لمارى ورنك Mary Warnok وهى أستاذة فلسفة ولها كتب فى الأخلاق. وهذا التكليف يدل على أهمية دور الفلسفة والأخلاق فى هذا الموضوع الحيوى، ودور علم الأخلاق فى الهندسة الوراثية. وهذا اعتراف بدور الفلسفة فى حل هذه المشكلات القانونية والعلمية، وذلك لتضع الفلسفة إجابات لهذه المشكلات [10].

ومهمة هذه اللجنة لتبحث فى هذه المشكلات التى ترتبط بمفهوم (الإخصاب الصناعى وعلم الأجنة) مثل الأم البديلة والإخصاب بواسطة متطوع (حيوان منوى أو بويضة) والإخصاب خارج الرحم (أطفال الأنابيب) وأخيرًا الاستنساخ الحيوى من زاوية أخلاقية.

وهذا المجال لإظهار جهود الفلاسفة ليتولوا الإجابة على الأسئلة الأخلاقية التى ظهرت نتيجة للتطورات العلمية الحديثة فى تحديد الطرق التى تسير عليها الأبحاث العلمية التى تهم الإنسانية فلابد من تحليل فلسفى لإقامة ضرب من التوازن بين القيم الأخلاقية والتطورات العلمية الجديدة من أجل تغير نظام قيمنا، وفى تحليل المشكلات الأخلاقية الناتج عنها. وذلك فى سعى الفلسفة الأخلاقية لإيجاد حلول لمواقف عملية ينحو نحو التطبيق بعد التنظير. وذلك بتنزيل الفلسفة إلى أرض الواقع للمرة الثانية، الأولى كانت على يد "سقراط" – أب الفلسفة عندما صاح صيحته الشهيرة "أعرف نفسك بنفسك" والآن نصيح نفس الصيحة "أدركوا الإنسان الذى نسى نفسه "ذلك الإنسان المنسى والذى أصبح منسيًّا فى خضم الثورة التكنولوجية والبيولوجية.

فيجب وضع الحلول لهذه المشكلات المستجدة الناتجة عن هذا التطور العلمى الهائل لتصبح للفلسفة دورها الإيجابى من خلال (فلسفة الفلسفة نفسها) لتساعد (الفلسفة الحقة !) فى بناء المجتمع الإنسانى.

هذا وقد انقسمت الفلسفة الأخلاقية إلى قسمين من خلال منظورين لفريقين لكل فريق نظرته للأخلاق هل هى :

1ـ أخلاق (لما هو كائن).

2- أم أخلاق (فيما ينبغى أن يكون عليه).

ويرى أنصار الفريق الأول أنه يجب البحث فى الأخلاق لما هو كائن فى دراسة سلوك الإنسان أى السلوك العلمى للإنسان لأخلاق وصفية ونسبية متغيرة، وهذا مجال علم النفس وعلم الاجتماع.

أما أنصار الفريق الثانى يرى أنه يجب البحث فى (السلوك الإنسانى) أى فيما ينبغى أن يكون عليه لتكون الأخلاق معيارية ومطلقه حيث برز علم ما بعد الأخلاق Meta - ethics، وقد تطرفت هذه النظريات فى منظورها للأخلاق.

ولهذا كانت دعوتنا لأخلاق عملية وتطبيقية فى دراسة سلوك الإنسان من خلال السلوك الإنسانى وذلك بأن يكون (ما هو كائن عليه) من خلال (فيما ينبغى أن يكون عليه) بأن يكون فى تطلعه لما ينبغى أن يكون بأخلاق عملية وسلوكية للوصول إلى أخلاق جمالية Fine - ethics مصاحبة معها الأخلاق البيولوجية Bioethics، فى النظر إلى أخلاق مطلقة من خلال المحدثات ليس لوضع حدود لها أو حلول – وهذه ليست مهمة الفلسفة – فقط توضيح الطريق فى دراسة المشكلات المستحدثة والمستجدة والمشكلات التى تواجه العلماء والأطباء ورجال القانون ورجال الدين لتحديد سلوك هذه المستجدات فى تحليلها بمنظور فلسفى فى إظهار الموقف الأخلاقى للمشكلات التى تعترض الإنسان فى مسيرته الحضارية لخير البشرية.

والهدف هنا ليس التوصل إلى حل المشكلات الأخلاقية التى تسيرها هذه التصورات، وأهميتها لما لها من قدرة على قلب النظام القيمى ولتوازن الحياة الأخلاقية للإنسان. ويكفى الفلسفة أنها دائمة قادرة على لفت الانتباه لما يحدث وتوقع لما سيحدث فى المستقبل، وتوضيح الاكتشافات العلمية المتسارعة فى تغير حياة الإنسان ومن هذه المشكلات – الواقعة والتى تحدث.

## المبحث الثانى : قدسية الحياة الإنسانية

قدسية الحياة الإنسانية ظهرت مع خلقه خلقًا مباشرًا، وأودعه الله عقلاً إبداعيًّا ونفسًا متعالية وحمله الأمانة واستخلفه فى الأرض وبث فيه من روحه وأسجد له الملائكة وعلمه الأسماء كلها وأعطى صفات من صفات الربوبية وأدوات التسخير.

ومن ثم أعطاه منهجًا يسير عليه ليتسق مع الكون من خلال ديانات تنزلت تباعًا.

وعملت الديانات المتتابعة فى تأكيد كرامة الإنسان وقدسية الحياة الإنسانية، وكذلك وقف القانون فى تأكيد هذه القدسية فى الحفاظ على الإنسان وممتلكاته وحياته وكرامته.

وعملت الفلسفة كذلك من خلال الأخلاق العملية فى ترقيه من المرتبة الطبيعية إلى المرتبة الأكيولوجية أى مستوى الأخلاق الإنسانية فى احترام الإنسان بالفضيلة من خلال فلسفة القيم. وكذلك عملت الديانات فى تأكيد هذه القيم. وقد نُعت خاتم الأنبياء فى التنزيل للقرآن فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ فكان مسلكه وسلوكه قرآنى وكذلك الصحابة الميامين (الطليعة الباهرة).

فإن كان الإنسان مكرمًا فيجب أن تكون حياته مكرمة ومقدسة. وهذه القدسية ما أكدته الفلسفات والديانات والقوانين.

فالحياة الإنسانية أقدس من أن تهدر أو تهان ولو كانت هذه الحياة حياة جنينة وأى تداخل أو تلاعب هو مناقض لقدسيتها. ولكن يظهر تساؤل : هل قدسية الحياة تمتد لكل الناس حتى الميؤوس من شفائهم ؟ وتمتد حتى للأجنة ؟ ومتى تكون الحياة مقدسة ؟

إذن فإن كانت الحياة مقدسة فهى مقدسة وأقدس من أن تهدر بالتخلص منها فلا تجرى تجارب على الإنسان مهما كان حتى ولو كان جنينًا ( مشروع إنسان ).

وهذه المواقف تدعونا إلى أحكام أخلاقية مثل

* لا تقتل دون مبرر قوى.
* تعامل مع الحياة على أنها مقدسة.
* فلا تقتل ولا تتلاعب بهذه الحياة بدون مبرر.

والتطور التكنولوجى أدى إلى ظهور البيولوجيا الحديثة فى الهندسة الوراثية والاستنساخ الحيوى.

إذن نحن أمام موقف أخلاقى جديد لكى نتعامل مع هذه المستحدثات الجديدة ونضع العالم فى موقف غريب ومدهش. هل يوقف هذا التقدم العلمى على أن لها نتائج قد تضر، أم نترك العنان لهذا التجارب ؟

ولهذا أردنا عرض هذه الأمور على بساط البحث العلمى من خلال تخصصات عدة لعلنا نجد بعض الإجابات أو بعض المعينات.

3ـ الهندسة الوراثية

وهى التحكم بالجينات والاستنساخ الحيوى وإعادة تركيب D. N. A الحمض الريبى النووى DEOXY RIBONCLICACID والمنقوص الاكسوجيى D. N. A رسول R. N. A.

بدأت هذه التجارب فى تحسين النسب بتعديل هذه الجينات فى تعديل الأمراض الوراثية.

وقد ولد فى نهاية عام 2000م فى فرنسا أول طفل خالى من الأمراض الوراثية. فإن كان فى الإمكان تعديل إلى الأحسن هذا يعطى إمكانية التعديل إلى الأسوأ بمعنى يمكن التلاعب فى الجينات وهذا هو الشىء المرعب.

والمشكلة المرعبة أن هذه الجينات المعدلة ربما تنتج مخلوقات جديدة يصعب التحكم فيها أو قد تخرج المعامل فيروسات مرعبة قد تدمر البشرية ولا يستطيع البشر التخلص منها أو إيجاد كابح لها.



obeikandi.com

وقد يتحول الناس من التكاثر الجنسى إلى التكاثر الجسدى مثل كائن (الهيدرا – Hydra) الذى يتكاثر بالانتشار مثل التكاثر الخضرى فى النباتات وقد ينتج هذا ما يطلق عليه (بالإنسان الأخضر) الذى يتكاثر وينمو مثل النباتات بالتمثيل الضوئى.

ومن خلال الاستنساخ قد يظهر أناس طبق الأصل من شخص واحد فيثير مشاكل اجتماعية وأخلاقية وفكرية وعقائدية.

وتزداد المشكلة فى إمكان استنساخ كائنات انقرضت مثل الديناصورات.

وعلى الرغم من هذه التصورات المرعبة إلا إننا نجد هناك فوائد كثيرة منها:

1ـ استخلاص الأنسولين الآدمى لعلاج مرض السكر.

2ـ تصنيع أنزيم (يورو كيتر Knase ـ Ura) مرض الجلطة.

3ـ صناعة بروتين التغذية الحيوانات والدواجن.

4ـ تصنيع بكتيريا تلتهم النفط المتسرب إلى البحار.

5ـ تصنيع كيماويات لصناعة الأنسجة وخيوط الجراحة.

## 4ـ الاستنساخ

التحول من التكاثر الجنسى بتولد نوع من جنسين ذكر وأنثى بإنتاج ثالث أى التكاثر الجسدى من جنس واحد بالاستنساخ والاستنسال بالتكرار لمكونات الإنسان، وذلك بتفريغ نواه الخلية واستبدالها بنواة أخرى وزرعها فى رحم ثالث لإنتاج نفس النوع الجنسى مثال النعجة (دولى).

والتحكم فى الجينات الوراثية والسيطرة على الجينات للخلايا الجزعية متعددة القدرات للحصول على خلايا علاجية (قلبية، كبدية، عصبية . .) بقتل الأجنة البشرية واستنساخها للاستخدامات البيولوجية للاستنساخ العلاجى.

## 3ـ خصائص الهوية للكائن البشرى

### 1ـ الوعى بالذات Self ـ Consciousness

إن معيار الوعى بالذات من المعايير المهمة لتحديد إذا كان الكائن



obeikandl.com

البشرى يعتبر شخصا Person له حقوقه الأخلاقية، ذلك لأن يعرف على أنه كائن بشرى Human Being وعضو أو فرد من أفراد الجنس البشرى Human Genus والذى من أهم صفاته أنه عاقل Homo Sapiens يمتلك قدرة على الوعى بالذات Self Consciousness.

أما الوعى الحيوانى فهو وعى ذا بعد واحد، أما الإنسان يمتلك وعيًا مزدوجًا فى وعيه لذاته والوعى بهذا الوعى نفسه إذ أنه (يعنى أنه يعى) وهذا ما ينفرد به الإنسان، فوعى الحيوان لحظى أما وعى الحيوان فيحمل الماضى ويرنو للمستقبل فى لحظة آنية متلاشية على التتالى من خلال حاضر لا يزول بحضور متوالى فى لحظات متتالية.

**2ـ القدرة على تقييم الذات :**

تتوقف القدرة على تقييم الذات على الحالة الداخلية يشعر بها الكائن البشرى، وإثباتها من الخارج يتوقف على سلوك ذلك الكائن، والقدرة على تقييم مشتقة من وعينا بذاتنا يتطلب ذلك قدرة على إدراك الذات.

والجنين ما هو إلا (كائن بالقوة)، ويملك قدرات ستظهر فيما بعد، وعند امتلاكها بالفعل تكون موجودة بالفعل، إذن القوة الكامنة ليست امتلاكًا بالفعل، وعليه يمكن أن نتخلص من الأجنة لأنها لا تملك بالفعل.

3ـ يتحول الكائن البشرى – إلى كائن بيولوجى ينتج فى المعامل ويتحول الإنسان إلى أرقام رياضية وحسابية، وكائن مبرمج برمجة داخلية بدون برمجة اتساقية مع باقى الكائنات التى معه، ومع بيئته والإنسان فى مكان داخل زمان، والزمان متغير والمكان متجدد بالتغير الزمانى وهى برمجة مستقبلية وهذا مستحيل فلا يعلم ما سيكون إلا خالق الزمان والمكان وهو علم الله السرمدى، وعلم الإنسان آنى وتوقع لمستقبل وظنى لماضى وليس يقينى. وهذا التدخل البشرى يوجد خللاً تناسقيًا للبرمجة الكونية.

## المبحث الثالث : موقف الأخلاق التطبيقية من الهندسة الوراثية والاستنساخ الحيوى

مشاكل الهندسة الوراثية هى مشاكل لم تقع بعد وهى مواضيع

اجتماعية وتوقعات مستقبلية ولكنها يمكن لها أن تحدث، أما مشكلة أطفال الأنابيب فهى واقعة حتى فى العالم الثالث.

وما نبحث فيه ليس فى حقيقة المكتشف العلمى إنما فى استخدامه فى أشياء قد تتعارض مع الشرع والقانون أو مع الطبيعة الإنسانية. فالتحريم ليس فى العملية الجنسية بل فى الانحراف بها فى الزنا عن الزواج المباح مع أنهما تتمان بنفس الطريقة. فالمشكلة هنا فى الاستخدام الخاطئ للمكتشفات العلمية.

والمشكلة تكمن فيما سيكون إذا حدث تغير ثم الخلقة الإنسانية فى تغير طبائعه وتركيبه البيولوجى فى قلب الموازين فى مجال الشرع والقانون والأخلاق والقيم.

وللعلوم والكشوف العلمية جانب إيجابى وجانب سلبى ويكون إيجابيًا فى تخليص البشرية من أمراض وراثية عن تغير الشفرات الوراثية فى الأجنة وخدمات فى الكيمياء الصناعية والزراعية. أما الجانب السلبى يكمن فى تغير طبيعة البشر بتغيير التركيب الوراثى. فيفقد الإنسان أخص خصائصه كإنسان فى إلغاء حريته وإرادته. أو فى إنتاج إنسان آخر مثل (الإنسان الأخضر) الذى يمكن له أن يعيش على التمثيل الضوئى مثل النباتات.

لهذا كان رفض رجال الدين لجانبه السلبى لأن فيها تغييرًا لفطرة الله التى فطرها فى الإنسان. فالمخدرات والمسكرات محرمة لتغييرها المؤقت فهى أقل خطورة من التغيير الوراثى لأن التغيير الوراثى دائم ولا يمكن تغييره ويصعب العودة إلى الطبيعة الأصلية والفطرية التى كان عليها الإنسان، فإن هناك حدود وخطوط حمراء لا يجب تجاوزها.

الاستنساخ الحيوى (حلم) ولكنه حلم (فظيع) وقد يتحقق بل هو فى طريق التحقيق – خاصة فى بعض المعامل السرية – وما يدعو للقلق أن بعض الطغاة يحاولون استنساخ أنفسهم أو تجميد حيواناتهم المنوية حتى يظلوا إلى الأبد فى أشكال تتكرر على مر الزمن استرسالاً فى طغيانهم الأبدى !

وكان المقصود هو استنساخ أفضل أنواع البشر من عباقرة وعلماء ذوى قدرات عقلية وجسمية ولكن الخطر يكمن بأن يكون العكس فى استنساخ أسوأ أنواع البشر من الطغاة والحالمين بالسلطة والظالمين الجبابرة، ولكن يستحيل استنساخ زمانهم الذى ذهب والبيئة التى كانوا فيها.

أو قد تؤدى هذه التجارب إلى إنتاج جنس بشرى مخلق يصعب التخلص منه أو التحكم فيه وقد يستخدمه بعض الدول للسيطرة أو بعض العصابات الخطرة لتسيطر على العالم.

أو قد يتم تخليق جرثومة لا يمكن السيطرة عليها. وقد يكون فيروس الإيدز أو إيبولا هى مخلوقات مخلقة هربت أو تسربت من المعامل بقصد أو بدون قصد وتصيب البشرية بأمراض غريبة نتيجة للتجارب فتكون مدمرة.

ولهذا كان النداء ومازال فى استخدام الهندسة الوراثية من أجل إسعاد البشرية وخيرها وذلك بضبط التجارب ووضع حدود وقوانين لهذه التجارب المعملية أو قد تستنسخ أشياء قد انقرضت مثل الديناصورات.

وعليه استخدم الاستنساخ لاحتفاظ أروع الطرز الوراثية ولكن هل يترك الأمر للعلماء أم للحكومات أم للفلاسفة ؟

وما ينقصنا ليس (العلم) بل الذى نحتاجه هو (الحكمة) فالعلم ذو حدين أما الحكمة فتقف مع الإنسان حيث كان الزمان والمكان والخوف كله ليس من (العلم) بل من (الإنسان) الذى يستخدم هذا العلم استخدامًا (بشعًا) مثل استخدامه للفن استخدامًا بشعًا فى إلهاء الشعوب والسيطرة عليهم بإفسادهم.

ولهذا يجب التدخل الآن فى هذه المكتشفات العلمية فهى تهم البشرية والمجتمع الدولى فلابد من تدخل قانونى من خلال أخلاق عملية.

* نستخلص من هذه الدراسة أن معظم الاعتراضات أخلاقية على البحوث التى تتم فى المجال الطبى والهندسة الوراثية وتكنولوجيا الإخصاب الصناعى والاستنساخ الحيوى.



Obeikandl.com

* وهذه الاعتراضات مبنية على أسس دينية وأخلاقية وفلسفية واجتماعية وقانونية وهى ترتكز على نظرتنا لمفهوم الإنسان. ومعنى قدسية الإنسان وقدسية الحياة الإنسانية، ومتى تكون للإنسان حقوق أخلاقية، ومتى تكون له هوية.

ولكن هل تتوقف التجارب العلمية خوفًا من نتائجها السلبية ؟ وما هى قيمة حرية البحث العلمى إن وضعت لها قيود وحدود.

فيجب أن نوجه ذلك العفريت قبل خروجه من القمقم بدلاً من إلغائه أو إعادته للقمقم. مع العلم أن الإنسان هو الموجه لهذه الأبحاث، إذن علينا تربيته تربية مثلى وتربية أخلاقية جمالية ليكون مبدعًا صالحًا فى تحقيق إنسانيته.

ونختم هذه الدراسة بأنه لابد أن ننظر إلى نظام قيمنا، ونحن بحاجة إلى أخلاق تتفق مع عصر التكنولوجيا. والإنسان هو صانع هذه التكنولوجيا إلا أنه أصبح ضائعًا فى خضم هذا التقدم التقنى ويصعد نحو الهاوية.

فلابد من مناقشة هذه الأمور بروية وعلمية ودراسة هذه المواضيع من خلال عدة تخصصات فلا تهاون فى مصير الإنسان الذى جاهد الإنسان من أجله لحقب طويلة ولا تهاون فى مصير الأجيال القادمة.

إذ يتحتم علينا تحديد وتوظيف العلم والتقدم العلمى الهائل لخير البشرية فى تعمير الأرض وليس لتدميرها. ويجب أيضًا تطوير قيمنا لمواكبة العلم والتطور التكنولوجى والبيولوجى المضطرد من خلال فلسفة أخلاقية.

وقد جاء دور فلسفة الأخلاق العملية والتطبيقية لتقف مع الإنسان فى بناء حضارته الإنسانية لتعمير الأرض وتحقيق حق الاستخلاف.

وبهذا تستطيع الفلسفة اقتحام القرن الواحد والعشرين بقوة فى محاولة لاستعادة موقعها الرائد فى العلوم الإنسانية القيمية والتطبيقية والتجريبية من خلال الفلسفة العملية (التطبيقية).

وذلك من خلال الفلسفة النقدية فى فلسفة الفلسفة نفسها.



obeikandi.com

## الخاتمة والنتائج والتوصيات

أبدع بديع السموات والأرض من خلال (كُنْ) فكانت وهى مسيرة فى مسيرتها التسخيرية من خلال ناموس كونى حتمى، وخلق الإنسان ليكون مبدعًا ليعمر الأرض بالإبداع من خلال قانون الحرية بينهما قانون أخلاقى وجمالى ضابط بين الحتمية والحرية.

الإنسان كائن جمالى وأخلاقى واعتقادى، كان الإنسان وكان معه الإحساس الجمالى والاستقامة الخلقية والاعتقاد ولتلازم هذه القيم الثلاثة مع الإنسان كان لابد لها أن تتلازم وقد تلازمت هذه القيم (الحق والخير والجمال).

1- قيم الحق مع القانون والعقيدة، لعالم الواقع والغيب استقراءًا للحق.

2- قيم الخير مع الإنسان، لعالم الفكر استقطابًا للخير.

3- قيم الجمال مع الأشياء، لعالم المادة استقطارًا للجمال.

فكان الإنسان هو ذلك الكائن المعتقد بتقوى ورعه، والكائن الأخلاقى بإرادة خيّرة، والكائن الجمالى بروعة إبداعية.

وعليه أن يسير عبر معابر ثلاثية فى الاعتقاد والاختيار والإبداع لقيم الحق والخير والجمال :

1- باعتقاد خاشع يصل حد التقوى الجلالية، من خلال عقل يستقرئ الحق، أى بحق يُعقل (رهبة جلالية – حق).

2- واختيار حر ملتزم بحدود الحرية يصل حد الاستقامة الخلقية من خلال إرادة تستقطب الخير، أى بخير يُراد (رهبة أخلاقية – خير).

3- وإبداع رائع يصل حد الروعة الجمالية، من خلال حس يستقطر ويستشعر بالجمال، أى بجمال يُحس به (رهبة جمالية – جمال).

نستخلص من هذه المحاور الثلاثة إن الإنسان هو الكائن الجمالى المكرم خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه (روح قدسية – فهو مقدس)



obeikandi.com

وأودعه عقلاً إبداعيًا اختص الله به الإنسان دون سائر الكائنات، ونفوسًا متطلعة متجملة ومتجلية (نفس أمارة بالسوء، ونفس لوامة، ونفس مبدعة ملهمة، ونفس آمنة مطمئنة، ونفس تقية زكية، ونفس راضية مرضية، ونفس كاملة صديقية كاشفة).

وأسجد له الملائكة، وعلمه الأسماء كلها، وأعطاه صفات من صفات الربوبية (كريم – حليم – عالم .....) وملكه أدوات الإبداع والإحساس الجمالى، والبعد والبصيرة والتفقه والاستنتاج، وسخر له الأشياء والكائنات وجعله مختارًا (اختيار داخل تسيير عامة)، وجعله عابدًا خاشعًا ورائعًا، واستخلفه فى الأرض ليعمر الأرض بالإبداع ويطور مفاهيمه الإبداعية (الفنية والفكرية والاعتقادية) من خلال منهج وقانون (جمالى وأخلاقى واعتقادى) وليست هذه القوانين قيود بل هى حدود، وهى الحدود الإنسانية فى تحقيق إنسانيته وعليه ألا يخرج عن (النظام) بالتعالى أو التدنى بل عليه الاتساق والتناغم مع نفسه ومع الكائنات.

تضطلع مهمة الأخلاق فى المساهمة فى إيقاظ الإحساس بالقيم لدى الإنسان فالرسالة الأخلاقية هى تحويل العالم من المرتبة الطبيعية الصرفة إلى المرتبة الإكسيولوجية الحقيقية، تمامًا كمهمة الفنون فى استيقاظ النفوس لنرى الجمال الذى هو فينا ومن حولنا ولكننا لا نراه بالألفة والعادة ولأنه يسير معنا فى التيار، فلا يحس البشر إلا بالمعاكس لهم فى الطريق، والمعاكس هو القبيح فلا يرى البشر إلا قبحًا فلا يفعل إلا القبح حتى يصير قبيحًا، وما القبح إلا درجة من درجات الجمال متدنية لإيجاد درجات الجمال.

فإن كانت مهمة الجمال استيقاظ النفوس لترى الجمال فمهمة الأخلاق إيقاظ الإحساس بالقيم الإنسانية العليا لتنداح نحو المثل العليا فى تحقيق إنسانية الإنسان بالسلوك المتجمل، سلوك إنسانى من خلال السلوك الإنسانى، أى ما هو كائن من خلال ما ينبغى أن يكون عليه، وفى قدرته أن يستبدل (النظام) الحيوى للحاجات إلى نظام خلقى للقيم من خلال صلة الأخلاق بالحياة العملية والواقع المعاش فى تطلعه للمثل العليا لتصبح

الأخلاق علمًا نظريًا وعمليًا معًا للهداية إلى الطريق السوى الذى يسلكه بسلوكه الأخلاقى ليتناسق الإنسان مع نفسه ومع الآخرين ومع الكائنات.

ولكن علماء الأخلاق ينقسمون لفريقين، يرد الفريق الأول الأخلاق إلى قيم ذاتية خالصة ونسبية متغيرة مردها إلى الفرد نفسه والآخرون يردونها إلى الموضوع كقيم مطلقة ثابتة، ونحن نرى أن القيم ليست ذاتية خالصة ولا موضوعية صرفة، إن فيها عنصرًا ذاتيًا ولكن مردها إلى صفة فى الموضوع توجب الحكم عليه بأنه حق أو خير أو جميل.

فعندما انجذب إلى شيء جميل انجذب نحوه لما فيه من جمال فأنا لا أعدمه إن كان موجودًا ولا أوجده إن كان معدومًا ولكنى أنجذب لما فيه من جمال وما لدى من إحساس. فالجمال والإحساس بالجمال فىّ وفى الموضوع وفى المسافة الفكرية أيضًا التى بينى وبين الموضوع أى بين المتلقى والمدرك والأشياء المدركة.

كما يتحدث الفلاسفة عن ترقى الحياة الخلقية فيشيرون إلى مستويات ثلاثة :

مستوى الغريزة ومستوى العرف ومستوى الضمير، ونحن نرى أن ترقى الحياة الخلقية تترقى لمستويات متعالية : من مستوى الطبيعة إلى مستوى العقل ثم إلى المجال الإبداعى فى إبداع القيم.

وذلك للإندياح بالأخلاق المفتوحة استجابة لنداء الحياة الصاعدة بإزاء أخلاق إنسانية مبدعة فى تآلف وتوحد بين الخيرية والإبداعية لسلوك محرك للأخلاق الإبداعية لمستويات ثلاثة :

1- أخلاق قانونية : التى تجعل السلوك الخير فى مجموعه طاعة لقواعد قانونية.

2- أخلاق الحرية : للذى ينظر للإنسان كائنًا عينيًا مختارًا.

3- أخلاق الإبداع : لخلق شيئًا جديدًا وفريدًا وإبداعيًا فى إبداع القيم، وانسجام للتنغيم الداخلى مع الإيقاع الجمالى.

دائرة القانون دائرة مغلقة، وأوسع منها دائرة الدين للذين يتدينون بهذا الدين، أما دائرة الأخلاق فهى أوسع تشمل الإنسانية كلها، وأما الدائرة الجمالية فهى تشمل الكائنات كلها.

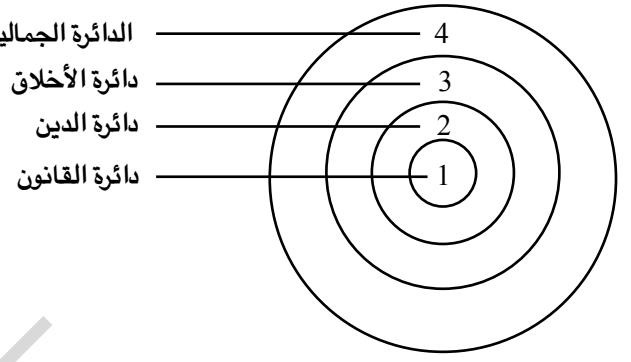


والإنسان كائن مختار لم يتطور عن أى شىء آخر، خلق خارج الأرض، ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾. ولم يكن الإنسان قردًا ولا شبيهًا بالقرد، أما تلك الكائنات الشبيهة بالقرد وبالإنسان فهى كائنات ظهرت ووجدت قبل ظهور الإنسان بالشروط الأولية للإنسان لتذليل الأرض للإنسان مثلها مثل الديناصورات التى وجدت على الأرض وانقرضت بعد انتهاء مهمتها فى الأرض وعلى الأرض وكذلك هذه الكائنات وجدت وانقرضت بعد انتهاء مهمتها.

أما الحمض الرينى النووى (D. N. A) وهى اختصار لكلمة Deoxy Ribo Nucleic Acid، وهذا الحمض يؤكد فصل الإنسان عن باقى الكائنات. وهذا الشريط الحمضى موجود فى كل الكائنات الحية مبرمج فيه حركاتها وسكناتها طوال حياتها. أما الشريط الحمضى للإنسان ففيه عشرة ملايين ما يحتاجه الإنسان هذا ما يؤكد خلود الحياة الإنسانية أو أن له حياة أخرى خالدة.

وحياة الإنسان هى حياة ممتدة منذ الأزل إلى الأبد، وما الحياة الدنيا إلا حياة وسيطة لحياة اختيارية اختبارية من الميلاد حتى الممات وليس الموت نهاية بل انتقال من حياة إلى حياة أخرى.



obeikandi.com

## الحياة السباعية للإنسان :

1- الوجود الأول – الذرى عندما قال الرب (كُنْ) فكانت الكائنات بالإبداع الإلهى.

2- الوجود الثانى – الخلق الإلهى (آدم وحواء).

3- الوجود الثالث – الوجود فى الجنة خارج الأرض.

4- الوجود الرابع – الهبوط والحياة الدنيوية الوسيطة من الميلاد حتى الممات لحياة اختيارية اختبارية.

5- الوجود الخامس – الانتقال والحياة البرزخية.

6- الوجود السادس – البعث والنشور حيث الحساب والميزان.

7- الوجود السابع – الحياة الأخروية الخالدة إما وجودًا فى الجنة، أو بقاءًا بالتلاشى المستمر فى النار.

ويتم الاستنساخ والتلاعب فى الهندسة الوراثية والخلايا الجذعية فى أهم مراحل الإنسان وهى المرحلة الرابعة فيحدث هذا التلاعب ربكة جمالية لتسلسل الحياة، ويوجد قطيعة للاستمرارية الحياتية للإنسان وخلل فى النظام المتسق المتناغم.

فيجب البعد عن التلاعب بالجينات، وما (السرطان) إلا خروج عن النظام وتمرد للخلايا وخروج عن البناء البنيوى للجسم، و(الإيدز) همود للخلايا وخروج عن النظام الحيوى للجسم، وبخروج الإنسان عن النظام تخرج خلاياه عنه إذ يفنى نفسه بنفسه ويفنى معه عالمه الذى أُعيدّ له وسُخر له فيدمر الإنسان هذا العالم الذى هبط إليه الإنسان مستخلفًا لتعميره وليس لتدميره.

وإذا ما استقام الإنسان استقامت حياته ويتسق باتساقه مع الكون المتسق وتناغمه مع الإيقاعات الجمالية وذلك عندما تتسق أوتاره الداخلية مع الإيقاعات الكونية والأنشودة العلوية الخالدة. فيحقق إنسانيته ووجوده الحياتى.

ولكن الثورة التكنولوجية والبيولوجية أدخلت الإنسان المعاصر فى مشكلات جديدة حيث ظهرت مشكلات أخلاقية واجتماعية ودينية وقانونية،



obeikandl.com

وترتب على ذلك إيجاد (بناء فلسفى) من خلال الأخلاق التطبيقية والأخلاق البيولوجية والأخلاق الجمالية لمواجهة هذه التحديات المعاصرة، فكان لابد من وضع أخلاق تناسب هذه التطورات المتسارعة للانتقال من الأخلاق السلوكية إلى الأخلاق الجمالية Fine Ethics عبر الأخلاق البيولوجية Bio Ethics.

وما ينقصنا ليس (العلم) بل الذى نحتاجه هو (الحكمة)، فالخوف ليس من العلم بل من (الإنسان) الذى يستخدم هذا العلم استخدامًا بشعًا.

فلابد من تدخل قانون أخلاقى ليضع حدودًا وليس قيودًا لإيجاد التناسق بين الإنسان ونفسه وبينه وبين الكائنات وبين الحيوات الإنسانية وبين الأرض والسماء وبين الإنسان وخالق السموات والأرض ومبدعها.

الاستنساخ ليس هو المثال الأمثل لإيجاد إنسان أجمل أو أحسن، لأنه ناتج من نوع واحد، ولا يكون الأجمل والأحسن إلا من اثنين وليس من نفس النوع.

يوجد الإنسان من تمازج (23) كروموزوم ذكرى مع (23) كروموزوم أنثوى لإنتاج (46) زيجوت. أى من اثنين متخالفين لإنتاج شيئًا ثالثًا جديدًا وليس شيئًا مكررًا.

ولابد من تخالف حتى يكون التآلف ولهذا خلق الله كل شىء من اثنين متخالفين لقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (الذاريات 49).

فالناس خلقهم الله أزواجًا من رجل وامرأة أى من ذكر وأنثى، وكذلك الحيوانات والزواحف والطيور والحشرات من ذكر وأنثى حتى النباتات من مذكر ومؤنث بل ما يطلق عليه بالجمادات والسوائل والغازات فالكهرباء من سالب وموجب والذرة من إلكترون وبروتون.

فكل شىء من اثنين متخالفين مفتقرين إلى بعضهما لإنتاج شىء ثالث جديد. 1 + 2 = 3 الثلاثة ناتجة من الواحد والاثنين ليس هو أحدهما وليس هو هما بل هو شىء ثالث يأتى الناتج المستحسن من اندماج اثنين، وليس بالمستنسخ التكرارى.

والاستنساخ هو استغناء عن أحد الطرفين أى أحد الزوجين، وهذا ضد

الفطرة، مع أن الاستنساخ ليس خلقًا جديدًا إلا أن الاستنساخ يثبت عقيدة البعث بطريقة علمية فى إحياء الناس بعد الموت، وهذا أمر قدر عليه الإنسان! أفلا يستطيع الخالق العظيم إحياء الموتى؟! وبعثهم للحساب، يقول تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ..﴾ (الروم 27).

ويمكن استنساخ إنسان أو أى شخص ما، ولكن لا يمكن استنساخ زمانه ولا مكانه، والإنسان فى مكان داخل مكان (أنسزمكان) فلا يمكن استنساخ واسترجاع الزمان وبالطبع لا يمكن استنساخ بيئة المستنسخ ما يوجد فوضى استنساخية.

هناك إيقاعات ثلاثية متناسقة ومتداخلة :

1- الإيقاع الزمانى وعطاءاته المتغيرة المتتالية.

2- الإيقاع المكانى وعبقرياته المتجددة المتوالية.

3- الإيقاع الإنسانى وإبداعاته المتبدلة المتعالية.

وللاستنساخ سلبيات وإيجابيات كما قلنا فى تعزيز عقيدة البعث والحياة الأخروية، واستنساخ الحيوانات والنباتات وما يتبعها من هندسة وراثية لتحسين النسل، واستخلاص أدوية ومضادات حيوية.

إلا إن كان هناك خطر للاستنساخ التكاثرى Reproductive Cloning، يمكن السماح بالاستنساخ العلاجى Therapeutic Cloning والسماح بإجراء تجارب الاستنساخ الجينى العلاجى تحت مسمى الطب التجديدى RegenerativeMedicine لمعالجة الأمراض التنكسية باستخدام الخلايا الجذعية. قد يؤدى إلى نتائج غير معروفة إذا تم الفصل بين العلم والأخلاق.

إذن المهم والأهم هو تدخل الأخلاق فى هذه التجارب من خلال الأخلاق الطبية والأخلاق البيولوجية Bio Ethics للانتقال إلى الأخلاق الجمالية Fine Ethics وذلك لحماية الإنسان حيا وميتا سواء كان إنسانا بالفعل أو إنسانا بالقوة (مشروع إنسان) من خلال قدسية الحياة الإنسانية الممتدة والمستمرة.



obeikandl.com

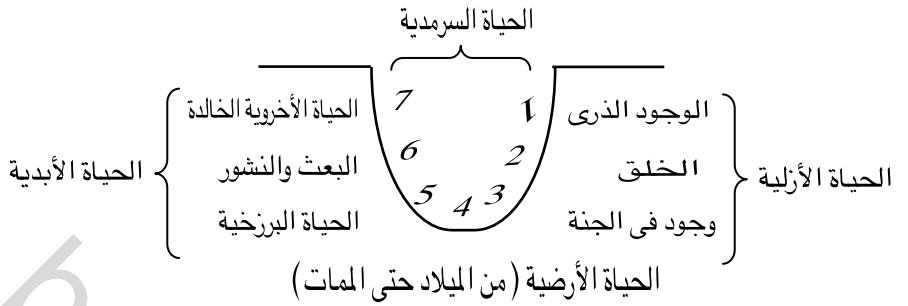


والخوف من فقد وإرباك هذه السلسلة المتسلسلة وإرباك التناغم الكونى والاتساق المتناغم للحياة الإنسانية واتساقه مع باقى الكائنات والمخلوقات وليس للإنسان قدرة لمعرفة هذا التناسق والتوافق الكونى وقصوره للمعرفة الكاملة وما أوتينا من العلم إلا القليل كما يقول سبحانه وتعالى : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

جعل اللّٰه خليفة (فى) الأرض وليس على الأرض. فليس هو سيدًا على الكون بالمنظور الغربى الذى يرى الإنسان المتعالى السوبرمان، وليس بالمفهوم الشرقى المحتقر الذى يفنى فى النير فانا، وليس إنسان العالم الثالث الغائب.

فعلى الإنسان أن يحقق إنسانيته وعبوديته للّٰه ويحقق حق الاستخلاف لتعمير للأرض بالإبداع والعمل الصالح والوجود الواعى فى الحياة الدنيوية الاختيارية الاختبارية ولا يخرج عن المنهج الإلهى والنظام الكونى والاتساق الإيقاعى والتناغم بين الأوتار الداخلية للإنسان مع الإيقاعات الكونية والأنشودة العلوية الخالدة، بأن يكون خاشعًا نقيًا ومبدعًا تقيًا وحرًا وفيًا.

فعلى الفلسفة أن تأخذ دورها الرائد والإيجابى فى مواجهة هذه التحديات المستجدة وذلك بإيجاد (فلسفة حكيمة) بـ(فلسفة الفلسفة نفسها).

وهذا ما نحاول أن نقوم به فى قسم الفلسفة والرابطة الفلسفية السودانية ومركز حوار الحضارات بجامعة النيلين بالسودان.

# الهـــوامـش

1- محمد قطب – منهج الفن الإسلامى من المقدمة.

2- توفيق الطويل – أسس الفلسفة ص 38.

3- زكريا إبراهيم – المشكلة الخلقية ص 100.

4- مصطفى عبده – دور العقل فى الإبداع ص 116.

5- مصطفى عبده – دور العقل فى الإبداع ص 126.

6- مصطفى عبده – الإيقاع السباعى مقال محكم.

7- مصطفى عبده – الإنسان ذلك الكائن المكرم – مقال محكم.

8- إحسان حقى – خلق لا تطور ص 15.

9- مصطفى عبده – الإيدز والسرطان من منظور جمالى – مؤتمر النيل.

10- ناهد البقصمى – الهندسة الوراثية والأخلاق ص 25.

11- الإنترنت – إسلام أون لاين نت.

obeikandi.com

# المـراجــع

1- أحمد الخشاب – الاجتماع الدينى.

2- إحسان حقى – خلق لا تطور.

3- اشيلى مونتاغيو – البدائية.

4- اشيلى مونتاغيو – الوراثة البشرية.

5- أمانويل كانط – تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق.

6- توفيق الطويل – أسس الفلسفة.

7- توفيق الطويل – الفلسفة الخلقية وتطورها.

8- زكريا إبراهيم – المشكلة الأخلاقية.

9- الكسيس كاريل – الإنسان ذلك المجهول.

10- جيمس اوكلن – إنسان بلتدوان.

11- عادل العوا – الإنسان ذلك المعلوم.

12- ناهد البقمصى – الهندسة الوراثية والأخلاق.

13- محمد على يوسف – مصرع الداروينية.

14- محمد على الربيعى – الوراثة والإنسان.

15- مصطفى عبده – الدين والإبداع.

16- مصطفى عبده – مدخل لفلسفة الأخلاق.

17- مصطفى عبده – مدخل لفلسفة الجمال.

obeikandi.com

18ـ مصطفى عبده – دور العقل فى الإبداع الفنى.

19ـ الإنترنت – إسلام أون لاين نت.

**مقالات محكمة منشورة – مصطفى عبده**

1ـ الفن بين الدين والإبداع – مجلة الخرطوم.

2ـ الإيقاع السباعى – مجلة القياس النفسى – غزة.

3ـ المرحلة الرابعة المتألقة – مجلة حوض النيل.

4ـ الإنسان ذلك الكائن المكرم – مجلة حوض النيل.

5ـ الإيدز والسرطان من منظور جمالى – مؤتمر النيل 2002م الخرطوم.

obeikandl.com